تأويلُ الحملِ على المعنى في القرآنِ الكريمِ إفرادًا وتثنيةً وجمعًا دراسةٌ نقديَّةٌ

أ.م.د. رافـــد ناجي وادي الجليحاوي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

Interpreting the meaning of the meaning in the Holy Qur'an individually, deuteronomy, and collectively, a critical study

A.P.Dr .Rafid Naji Wadi

University of Karbala / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

الملخص:

يُعدُّ الحملُ على المعنى من الموضوعات الرئيسة في التأويل النحوي؛ ويتمثل بصورٍ عدة، منها: الحمل على المعنى إفرادًا وتثنيةً وجمعًا؛ أي: حمل المفرد على معنى الجمع أو المثنى، وحمل المثنى على معنى المفرد أو الجمع، وحمل الجمع على معنى المفرد أو المثنى؛ فيلجأ بعض المفسرين وأهل المعاني إلى ترك ظاهر اللفظ في بعض الآيات القرآنية ــ في الإفراد والتثنية والجمع ــ وصرف الدلالة إلى معنى آخر حملًا على المعنى؛ علمًا أنَّ النحويين والمفسرين وأهل المعاني ــ عندهم ــ عدم التأويل أولى من التأويل، وإنْ تنازع المعنى بين ظاهر اللفظ والتأويل على الحمل على المعنى، فالأولى الحمل على ظاهر اللفظ؛ فمن هنا جاءت هذه الدراسة النقديَّة الموسومة بـــ(تأويلُ الحملِ على المعنى في القرآنِ الكريمِ إفرادًا وتثنيةً وجمعًا دراسةٌ نقديَّةٌ)؛ إذ تُعدُّ دراسة تأسيسيَّة إجرائيَّة في نقد تأويل الحمل على المعنى في القرآن الكريم.

Abstract:

The burden on meaning is one of the main topics in grammatical interpretation. It is represented in several forms, including: carrying the meaning individually, dually, and plurally; That is: assigning the singular meaning to the plural or dual, interpreting the dual as meaning the singular or plural, and interpreting the plural as having the meaning of the singular or dual.

المقدِّمة
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المرسلينَ، وخاتمِ النبيينَ مُحمدٍ وعلى آله الطيبينَ الطاهرينَ.
أمَّا بعد

يُعدُّ الحملُ على المعنى من الموضوعات الرئيسة والمهمة في التأويل النحوي؛ فابن جني جعله من شجاعة العربية؛ ويتمثل الحمل على المعنى بصورٍ عدة، منها: الحمل على المعنى إفرادًا وتثنيةً وجمعًا؛ أي: حمل المفرد على معنى الجمع أو المثنى، وحمل المثنى على معنى المفرد أو الجمع، وحمل الجمع على معنى المفرد أو المثنى؛ فيلجأ بعض المفسرين وأهل المعاني إلى ترك ظاهر اللفظ في بعض الآيات القرآنية ــ في الإفراد والتثنية والجمع ــ وصرف الدلالة إلى معنى آخر حملًا على المعنى؛ علمًا أنَّ النحويين والمفسرين وأهل المعاني ــ عندهم ــ عدم التأويل أولى من التأويل، وإنْ تنازع المعنى بين ظاهر اللفظ والتأويل على الحمل على المعنى، فالأولى الحمل على ظاهر اللفظ.

فمن هنا جاءت هذه الدراسة النقديَّة الموسومة بـ (**تأويلُ الحملِ على المعنى في القرآنِ الكريمِ إفرادًا وتثنيةً وجمعًا دراسةٌ نقديَّةٌ)**؛ إذ تُعدُّ دراسة تأسيسيَّة إجرائيَّة في نقد تأويل الحمل على المعنى في القرآن الكريم مستندًا إلى مرجعيات الخطاب والمسرح اللغوي من المتكلم والمخاطب والمقام التواصلي والقرائن اللغوية وغير ذلك، في توجيه المعنى على ظاهر اللفظ، ونقد تأويل الحمل على المعنى.

قُسِّم البحث بحسب صور تأويل الحمل على المعنى إفرادًا وتثنيةً وجمعًا على النحو الآتي:
الأول: تأويل حمل المفرد على معنى الجمع. الثاني: تأويل حمل المفرد على معنى المثنى. الثالث: تأويل حمل المثنى على معنى المفرد. الرابع: تأويل حمل المثنى على معنى الجمع. الخامس: تأويل حمل الجمع على معنى المفرد. السادس: تأويل حمل الجمع على معنى المثنى. وسبق ذلك مدخلٌ؛ بيَّنتُ فيه مفهوم التأويل والحمل على المعنى. وختمت البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

مدخل : مفهوم التأويل والحمل على المعنى

1ـ التأويلُ :

التأويل لغةً: " هُوَ مِنْ آلَ الشيءُ يَؤُولُ إلى كَذَا، أَي رَجَع وَصَارَ إليه، وَالْمُرَادُ بالتَّأْوِيلِ نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الأَصليّ إلى مَا يَحتاجُ إلى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِكَ ظاهرُ اللَّفْظِ "[1]، فالمعنى اللغوي لا يخرج عن معنى الرجوع والنقل ومخالفة الظاهر.

أمَّا التأويل اصطلاحًا: يقول أبو علي الفارسي (ت377ه) :" معنى ذلك الاجتهاد في إلحاق لفظ غامض الأصل بالأصل الذي تهدي إليه الأقيسة المستنبطة من كلامهم كتأويل وجه من وجوه الإعراب أو حمل معنى كلمة على معنى آخر" [2]، ويقول ابن حزم (ت 456ه) " التأويل: نقل اللفظ عمَّا اقتضاه ظاهره، وعمَّا وضع له في اللغة إلى معنى آخر"[3]، ويقول الباجي الأندلسي(ت474ه):" التأويل صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله"[4]،

ويعرفه الجرجاني (ت816ه): بأنَّه " صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله"[5]؛ فالمعنى الاصطلاحي هو نقل ظاهر اللفظ إلى معنى آخر.

2ـ الحمل على المعنى:

هو أحد أساليب التأويل النحوي الذي عدّه ابن جني (ت392ه) من شجاعة العربية؛ إذ ذَكرَ الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى[6]، ويقول ابن جني فيه: "اعلم أنَّ هذا الشَرْج غَوْر من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوّر معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول، أصلًا كان ذلك اللفظ أو فرعًا، وغير ذلك"[7]؛ فالحمل على المعنى يتضمن صورًا عدة، منها: حمل المذكر على المؤنث أو حمل المؤنث على المذكر، أو الحمل إفرادًا وتثنيةً وجمعًا ـــ؛ أي: حمل المفرد على معنى الجمع أو المثنى، وحمل المثنى على معنى المفرد أو الجمع ، وحمل الجمع على معنى المفرد أو المثنى ـــ وأيضًا من الحمل على المعنى التضمين، والحمل على التوهم، وغير ذلك .

والسؤال المهم: أيُّهما أولى التأويل بالحمل على اللفظ أم التأويل بالحمل على المعنى؟. والجواب: إنْ تنازع المعنيان بين ظاهر اللفظ ومعناه، فعدم التأويل في ذلك أولى من التأويل؛ فحجية الحمل على اللفظ أولى من الحمل على المعنى؛ يقول أبو البركات الأنباري(ت577ه):" نحن لا ننكر الحمل على المعنى في كلامهم، ولا التنقل من معنى إلى معنى، ولكن الظاهر ما صرنا إليه؛ **لأنَّ الحمل على اللفظ والمعنى أولى من الحمل على المعنى دون اللفظ** ، وجَرْيُ الكلام على معنى واحد أولى من التنقل من معنى إلى معنى، فلمَّا كان ما صرنا إلى أكثر في الاستعمال وأحسن في الكلام كان ما صرنا إليه أولى"[8]، ويقول أبو حيان(ت 745هـ) في باب الموصول: " إلا أنَّه إذا اجتمع الحَمْلانِ فالأحسنُ أن يبدأ بالحمل على لفظ (الذي) قبلَ الحمل على المعنى"[9]، ويقول أيضًا في تفسير البحر المحيط: " أقول: إنَّه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره، أو على قريب من ظاهره، كان أولى من حمله على ما لا يشمله العقل، أو على ما يخالف الظاهر جملة "[10]، فالأصل الحمل على اللفظ مع اتفاق المعنى؛ فهو أولى من الحمل على المعنى وحده.

الأول: تأويل حمل المفرد على معنى الجمع

من ذلك قوله تعالى:**{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)}**[11].

يرى بعض المفسرين وأهل المعاني أنَّ هناك حملًا على المعنى في حمل المفرد (**الذي**) في قوله تعالى:**{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا}**[12] معنى الجمع؛ أي:(الذين)، والتأويل: (مَثَلُهم كمثلِ الذين استوقدوا نارًا)، ودليلهم في هذا ليوافق معنى الجمع في قوله تعالى: **{ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ}**[13]، وهذا فيه نظر؛ فالمقصد على تعيين دلالة (**الَّذِي**) في بابه على المفرد، فلا حمل على المعنى؛ فهنا تشبيه حال المنافقين بحال الذي استوقد نارًا ليهتدي بها، فلما أضاءت ذهب الله بهذا النور، ووجه الشبه ذهاب النور وتركهم في

الظلمات، وما يترتب على هذه الظلمات من خوف وهلاك؛ يقول الواحدي(ت468هـ) في الوجيز: " أَيْ: حالهم في نفاقهم وإبطانهم الكفر كحالِ مَنْ أوقد نارًا فاستضاء بها، وأضاءت النَّار ما حوله ممَّا يخاف ويحذر وأمن، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي مُظلمًا خائفًا مُتحيّرًا "[14]، وما يدعم ما ذهبنا إليه، إذ لو كان (**الَّذِي**) بمعنى (الذين) لفسد المعنى المقصود؛ لأنَّ معنى (الذين) هو تشبيه بالجماعة أو العصبة الذين استوقدوا نارًا، فعندما يذهب هذا النور لا يستلزم الخوف والهلاك؛ لأنَّهم عصبة وجماعة في مكان واحد؛ يسند أحدهم الآخر؛ فلا تتحصل الفائدة والإنجاز من التشبيه؛ فالخطاب القرآني هنا خطاب تهديد ووعيد ومصداقه السياق اللغوي، قال تعالى:{**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ(15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(16)**}[15]، فهذا الخطاب يستلزم التشبيه بحال الخوف والهلاك، وما يناسب ذلك التشبيه بالمفرد، قال تعالى:{**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**}[16]؛ فهو أكثر إنجازًا وخوفًا ووعيدًا، وربَّ سائل يسأل: كيف يشبه الجماعة بالمفرد؟؛ يقول الزمخشري(ت538ه) إنَّ:" المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد، إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد، ونحوه قوله: {**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**} [الجمعة: 5]، وقوله: {**يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**} [محمد: 20]" فهنا تشبيه قصة المنافقين وحالهم بحال الذي استوقد نارًا. أمَّا القول بأنَّ قوله تعالى: {**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**}[17] موافق لمعنى الجمع فيستلزم حمل (**الَّذِي**) على معنى الجمع؛ فالجواب الضمير في (**بِنُورِهِمْ**) عائد على المنافقين لا على الذي استوقد نارًا[18]؛ يقول ابن عاشور(ت1393ه):" وجمع الضمير في قوله (**بِنُورِهِمْ**) مع كونه بلصق الضمير المفرد في قوله (**مَا حَوْلَهُ**) مراعاة للحال المشبهة وهي حال المنافقين لا للحال المشبه بها؛ وهي حال المستوقد الواحد على وجه بديع في الرجوع إلى الغرض الأصلي، وهو انطماس نور الإيمان منهم، فهو عائد إلى المنافقين لا إلى (**الَّذِي**)، قريبًا من ردِّ العجز على الصدر فأشبه تجريد الاستعارة المفردة وهو من التفنين"[19].

فصفوة القول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى:{**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا**}[20]، فجاء لفظ (**الَّذِي**) موافقًا للمعنى، وهذا ما جاء به نصُّ القرآن الكريم.

وممَّا ورد أيضًا من **حمل المفرد على الجمع** قوله تعالى: {**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ(7)**}[21].

ذهب بعض المفسرين وأهل المعاني في قوله تعالى:{**فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا**}[22] إلى أنَّ هناك حملًا على المعنى في لفظ (**بَشَرٌ**) كونه مفردًا ومعناه الجمع، فجاء الخبر الجملة (**يَهْدُونَنَا**)، ولم يقل (يهدينا)[23]؛ يقول الطبري(ت310هـ):" وجمعَ الخبرَ عن البشر، فقيل: (**يَهْدُونَنَا**)، ولم يقل: (يهدينا)؛ لأنَّ البشر، وإنْ كان في لفظِ الواحد، فإنَّه بمعنى الجميع"[24]، وهذا فيه نظر؛ لأنَّ (**بَشَرٌ**) اسم جمع، نحو (رهط وقوم وركب)، فإذا عاد عليه الضمير يجوز فيه أنْ يعود عليه بـ(واو) الجماعة أو ضمير المفرد، فنقول: (الرّهط خرجوا)، و (الرَّكب سافروا)، أَو (الرهط خرج)، و(الركب سافر).[25]؛ فكلمة (**بَشَرٌ**) اسم جمع يدلُّ على المفرد والجمع في لفظه؛ يقول

البيضاوي(ت691ه): " والبَشَرُ يُطْلَقُ لِلْواحِدِ والجَمْعِ"[26]، ويحدد المقصود بالقرائن والسياق؛ فنقول: (هذا بشرٌ)، و(بشر يهديني) في الإفراد، و(هؤلاء بشرٌ)، و(بشرٌ يهدوننا) في الجمع؛ فيصح التركيبان؛ فلا تأويل فيهما؛ فلا يتطلب تأويل المفرد بمعنى الجمع؛ فلكلِّ تركيبٍ دلالتُهُ؛ فلا حمل على المعنى ــ هنا ــ فاستفهام الكافرين بقولهم **{أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}**، هنا المبتدأ **(بَشَرٌ)** جمع، فجاء الخبر **(يَهْدُونَنَا)** بضمير (الواو) الدال على الجمع مطابقا له؛ يقول أبو السعود (ت982ه):" وقَدْ أجْمَلَ في الحِكايَةِ، فَأسْنَدَ القَوْلَ إلى جَمِيعِ الأقْوامِ، وأُرِيدَ بِالبَشَرِ الجِنْسُ، فَوُصِفَ بِالجَمْعِ"[27]، ومصداق ذلك أيضًا بأنَّ قول الكافرين **{أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}** هو خطاب جمع جاء جوابًا وحجةً لنتيجة الخطاب السابق، قال تعالى:**{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا(6)}**[28].

فصفوة القول: لا حمل على المعنى في اسم الجمع **(بَشَرٌ)** في قوله تعالى:**{فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا}**[29]، وهذا يقاس على اسم الجمع مطلقًا؛ لأنَّ اسم الجمع يدلُّ على المفرد والجمع بلفظه، ويحدد معنى الإفراد أو الجمع القرائن والسياق.

الثاني: تأويل حمل المفرد على معنى المثنى

من ذلك قوله تعالى :**{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)}**[30] .

يرى بعض المفسرين وأصحاب المعاني ـ في قوله تعالى: **{فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}**[31] ــ أنَّ هناك حملًا على المعنى؛ فكلمة **(فَتَشْقَى)** لفظه مفرد وحُمِل على معنى المثنى، والتأويل:**(فتشقيا)**، ودليله عندهم ضمير التثنية في **(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا)**[32]. والمقصد على تعيين **(فَتَشْقَى)** في بابه في دلالته على الإفراد ــ فلا حمل على المعنى ــ؛ لأنَّ الخطاب موجه لآدم (عليه السلام)، فهو صفوة الله الذي اختاره وفضله على الملائكة، قال تعالى:**{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى}**[33]؛ فهو المخصوص بهذا الخطاب[34]؛ فهنا خطاب حجاجي من الله (عز وجل) إلى نبيه وعبده آدم (عليه السلام)؛ فذكر الحجة، قال تعالى: **{فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ}**[35]؛ فهنا في هذه الحجة النداء موجه لآدم (عليه السلام) في تحذيره؛ بأنَّ ابليس عدوٌ له ولزوجك؛ فهو المسؤول عن أفعاله وقراراته ـ أمام الله (عز وجل) ـ وهو المخصوص بالخطاب، والتحذير خاص به، لتأتي نتيجة هذا التحذير **(فَتَشْقَى)**، ومصداقه أيضًا الاستمرار بخطابه إلى آدم (عليه السلام) ـ بعد هذه الآية ــ بخطاب المفرد، قال تعالى: **{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(122)}**[36]، يقول الشوكاني(ت1250ه): " وَلَمْ يَقُلْ فَتَشْقَيَا؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ مِنْ أَوَّلِ الْقِصَّةِ مَعَ آدَمَ وَحْدَهُ، ثُمَّ عَلَّلَ مَا يُوجِبُهُ ذَلِكَ النَّهْيُ بِمَا فِيهِ الرَّاحَةُ الْكَامِلَةُ عَنِ التَّعَبِ

والِاهْتِمَامِ فَقَالَ: **{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى}**، أَيْ: فِي الجَنَّةِ."[37]؛ فالانتقال بالخطاب المفرد لآدم (عليه السلام) من وصف حاله في الجنة بعدم الجوع والعطش إلى أنْ وسوس الشيطان ومخاطبته، قال تعالى:**{قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى}**[38] إلى أنْ ينتقل، قال تعالى: **{وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)}**[39]؛ فكلُّ هذا الخطاب يؤسس على أنَّ آدم (عليه السلام) هو المخصوص بالخطاب والمسؤول عن فعله، وقد حذره الله (عز وجل) من إغواء الشيطان له، وما يترتب عليه من خروج الجنة مع زوجه فيشقى.

فصفوة القول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى: **{فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى}**[40]، فجاء اللفظ **(فَتَشْقَى)** موافقًا للفظ والمعنى معًا.

وأيضًا من **حمل المفرد على معنى المثنى** قوله تعالى:**{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)}**[41].

ذهب بعض المفسرين وأهل المعاني إلى أنَّ هناك حملًا على المعنى في قوله تعالى:**{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}**[42]، فـ **(يُرْضُوهُ)** الضمير (الهاء) عائد على المفرد، وتأويل المعنى (يرضوهما) حملًا على معنى المثنى[43]، وهذا فيه نظر؛ فلا حمل على المعنى، فالمعنى جاء موافقًا للفظ في معناه المفرد؛ فالخطاب في قوله تعالى:**{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ}**[44] هو خطاب للمؤمنين " وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد، ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم"[45]، فتأتي تكملة الخطاب، قال تعالى: **{وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ}**[46]، فالضمير في **(يُرْضُوهُ)** عائد على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)؛ فلا حمل على المعنى؛ والنكتة البلاغية في لفظ المفرد **(يُرْضُوهُ)** دون لفظ المثنى (يرضوهما)؛ لأنَّ رضا الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) من رضا الله (عز وجل)، ورضا الله (عز وجل) من رضا الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)؛ فرضاهما واحد؛ يقول أبو حيان " وأُفْرِدَ الضَّمِيرُ في **(أَنْ يُرْضُوهُ)** لِأَنَّهُما في حُكْمِ مَرْضِيٍّ واحِدٍ، إذْ رِضا اللَّهِ هو رِضا الرَّسُولِ"[47]، ولوجاء الخطاب (يرضوهما) لاحتمل أنَّ رضاهما غير واحد؛ يقول صاحب تفسير المنار: " وكان الظاهر أنْ يقال : " يرضوهما " ونكتة العدول عنه إلى **(يُرْضُوهُ)** الإعلام بأنَّ إرضاء رسوله من حيث إنَّه رسوله عين إرضائه تعالى؛ لأنَّه إرضاء له في اتباع ما أرسله به ، وهذا من بلاغة القرآن في الإيجاز، ولو قال:(يرضوهما) لما أفاد هذا المعنى؛ إذ يجوز في نفس العبارة أنْ يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر، وهو خلاف المراد هنا"[48]، وقد أُختلِف في عود الضمير إلى الله (عز وجل) أم إلى الرسول(صلى الله عليه واله وسلم)؛ قال ابن عطية (ت546ه): " مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ أَنَّهُما جُمْلَتانِ، حُذِفَتِ الأُولى لِدَلالَةِ الثّانِيَةِ عَلَيْها، والتَّقْدِيرُ عِنْدَهُ: واللَّهُ أَحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ، ورَسُولُهُ أَحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ ...، ومَذْهَبُ المُبَرِّدِ: أنَّ في الكَلامِ تَقْدِيمًا وتَأْخِيرًا، وتَقْدِيرُهُ: واللَّهُ أَحَقُّ أنْ يُرْضُوهُ ورَسُولُهُ"[49]. والمقام التواصلي على تعيين عود الضمير على(الرسول) (صلى الله عليه واله وسلم) لدلالة السياق اللغوي قبل هذه الآية في أذى المنافقين للرسول(صلى الله عليه واله وسلم)، قال تعالى:**{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[50]؛ فالإشارة إلى رضا الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) أقرب في هذا السياق في إطاعته بما أمرهم وعدم التخلف؛ وهذا يستلزم رضا الله (عز وجل)، قال تعالى:**{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}**[51].

فصفوة القول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى:**{يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}**[52]، فجاء لفظ **(يُرْضُوهُ)** أكثر بيانًا وتأكيدًا في إرضاء الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) ؛ الذي يستلزم رضا الله (عز وجل) فرضاهما واحد.

وكذلك من **حمل المفرد على معنى المثنى** قوله تعالى:**{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (56) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)}**[53].

يرى بعض المفسرين وأصحاب المعاني أنَّ هناك حملًا على المعنى في قوله تعالى: **{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}**[54]، فاللفظ النداء بالمفرد **(يَا مُوسَى)**، والمراد نداء الاثنين معًا؛ (يا موسى وهارون)، ودليله عندهم ضمير التثنية في **(رَبُّكُمَا)** الذي يعود على (موسى وهارون) عليهما السلام[55]. وهذا فيه نظر؛ لأنَّ خطاب النداء في **(يَا مُوسَى)** المقصود منه موسى (عليه السلام) وحده؛ فلا حمل على المعنى بتقدير (وهارون)؛ يقول الطبري:" فخاطبَ موسى وحدَه بقوله: **(يَا مُوسَى)**. وقد وجَّه الكلامَ قبلَ ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعَل ذلك كذلك؛ لأنَّ المجاوبة إنما تكونُ مِن الواحد ــ وإن كان الخطابُ لجماعةٍ ــ لا مِن الجميع"[56]؛ أمَّا علة تخصيص الإجابة عن سؤال فرعون (من ربكما؟) من موسى (عليه السلام) وحده دون هارون؛ لأنَّه نبي الله والمكلف في الرسالة، يقول الزمخشري:" خاطب الاثنين، ووجه النداء إلى أحدهما وهو موسى؛ لأنَّه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه"[57]؛ فهو الأصيل في الحوار، فـ " كان الخطاب لموسى؛ لأنَّه هو الشخص الأصيل في الموقف في ما تصوره فرعون من دراسة المسألة، وفي ما هو الواقع "[58]، فالسؤال **(فَمَنْ رَبُّكُمَا)** قصد منه المثنى لفظًا ومعنًى، ولتأتي الإجابة من موسى (عليه السلام) وحده ـ قال تعالى:**{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**[59]؛ يقول الواحدي: " ويدلُّ على أنَّ المخاطب موسى دون هارون قوله تعالى: **{قَالَ ربُّنَا}** ولم يقل: قالا، ولو كان الخطاب لهما كان الجواب منها"[60]؛ فلم ينادَ هارون، فلو كان النداء لموسى وهارون(عليهما السلام) معًا، لكانت الإجابة منهما معًا بإسناد ضمير التثنية للفعل (قال)؛ أي: (قالا رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ...)، وهذا غير واقع، فجاء الخطاب القرآني إجابة من موسى (عليه السلام) بإسناد الفعل (قال) إلى الضمير المستتر (هو) الذي يعود على موسى (عليه السلام)، قال تعالى:**{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}**[61]؛ وهذا دليل قطعي على أنَّ لا حمل على معنى التثنية في النداء، ومصداقه أيضًا استمرار السؤال من فرعون إلى موسى (عليه السلام) وحده في هذا الحوار، والإجابة من موسى (عليه السلام) وحده في الآيات اللاحقة، قال تعالى:**{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52)}** [62]، وقال تعالى:**{ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)}**[63].

فأمام هذه الشواهد نقول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى:**{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}**[64]، فجاء سؤال فرعون **(فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى)** على لفظ المثنى لفظًا ومعنًى، والنداء لموسى (عليه السلام) ـ طلبا للإجابة ـ وحده لفظًا ومعنًى أيضًا.

الثالث: تأويل حمل المثنى على معنى المفرد

من ذلك قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا}**[65] .

ذهب بعض المفسرين وأهل المعاني إلى أنَّ هناك حملًا على المعنى في قوله تعالى:**{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا}**[66]، فـ (**نَسِيَا**) المسند إلى ألف الاثنين، حُمِل على معنى (نَسي) المسند إلى الضمير المستتر (هو) المفرد، وحجتهم في ذلك أنَّ من نسي الحوت الفتى، وليس موسى (عليه السلام)[67]، ودليلهم قوله تعالى:**{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا}**[68]، وهذا فيه نظر؛ فالمقصد في (**نَسِيَا حُوتَهُمَا**) على تعيين النسيان للاثنين معًا؛ الفتى واسمه (يوشع ابن نون) وموسى(عليه السلام)؛ فالفتى نسي الحوت ومصداقه قول تعالى:**{فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ}**[69]، أمَّا نسيان موسى (عليه السلام) فهو في تفقد الحوت والاستخبار عن حاله، يقول الزجاج (ت311ه): " كان النسيان من يوشع أنْ تقدمه، وكان النسيان من موسى أنْ يأمره فيه بشيء "[70]؛ ويقول الماتريدي (ت:333ه): " لأنَّهما فارقا ذلك المكان وتركا الحوت فيه، وإنَّما أضاف النسيان إليهما؛ لما تركاه جميعًا فيه وفارقاه، وإنْ كان الفتى هو الذي نسيه دون موسى، فقد نسى موسى أنْ يستخبره عنه؛ فقد كان منهما جميعًا النسيان: من الفتى الإخبار والتذكير، ومن موسى: الاستخبار عن حاله"[71]، زيادة على ذلك إنَّ طعامهما ــ وهو الحوت ــ لم تكن وظيفته تزود موسى (عليه السلام) وفتاه وسد رمقهما بعد التعب والنصب فحسب؛ بل كان فقد الزاد أمارة لطلبتهما، وهي اللقاء بالرجل الصالح الخضر(عليه السلام)، يقول الزمخشري:" أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه ممَّا جعل أمارة على الظفر بالطلبة"[72]، ومصداقه قول موسى (عليه السلام) لفتاه بعد أن أخبره بنسيان الحوت قال تعالى:**{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(67)}**[73]، فكان فقد الحوت هو مكان لقاء الرجل الصالح، يقول الطبري: "لأنَّ موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت"[74]؛ ويقول الماوردي(ت450ه):" وذَلِكَ أَنَّهُ قِيلَ لِمُوسى إِنَّكَ تَلْقى الخَضِرَ في مَوْضِعٍ تَنْسى فِيهِ مَتاعَكَ، فَعَلِمَ أَنَّ الخَضِرَ بِمَوْضِعِ الحُوتِ"[75]، فلم نجد أيَّ ردة فعل من موسى(عليه السلام) لفتاه، والتسليم بذلك ـ بعد أنْ نسي الحوت وقد أصابهما النصب والتعب ــ، وهذا يستلزم أنَّ الفقد دليل اللقاء، وأنَّ موسى (عليه السلام) مشترك بالنسيان بتفقده وهذا ما كانا يبغيان، قال تعالى: **{قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}**[76]، بعد ذلك رجعا إلى مجمع البحرين يقصان أثر الحوت ويتبعانه، قال تعالى:**{فَارْتَــدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا}**[77]، فوجدا ما كانا يريدان.

فصفوة القول: النسيان شملهما معًا؛ لأنَّ موسى (عليه السلام) يدخل في حيز النسيان في تفقد حال الحوت؛ لأنَّ الله (عز وجل) أخبره أنَّ لقاء العبد الصالح الخضر (عليه السلام) مقرون بضياع زادكما؛ فنسيان الحوت أمارة لهذا اللقاء في مجمع البحرين؛ فلا حمل على المعنى، فخطاب التثنية في قوله تعالى:**{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا}**[78] جاء موافقًا للفظ والمعنى معًا.

الرابع: تأويل حمل المثنى على معنى الجمع

من ذلك قوله تعالى:**{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}**[79].

يرى بعض المفسرين أنَّ مجيء الفعل **(إِنِ اسْتَطَعْتُمْ)** ولم يقل (اسْتَطَعْتُما) وإسناد الضمير الواو في **(أَنْ تَنْفُذُوا)** بصيغة الجمع، ولم يقل (أنْ تَنْفذا) دليل على أنَّ هناك حملًا على المعنى في حمل **(الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)** الدال على المثنى بالعطف بأنَّه في معنى الجمع؛ إذ يضم كلٌّ من الجن والإنس أفرادًا كثيرة [80]. ونقول: لا حمل على المعنى؛ لأنَّ دلالة الجمع في قوله تعالى: **{إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}**[81]متأتية من خطاب النداء **(يَا مَعْشَرَ)** الذي يكون بمعنى الجماعة، وليس في حمل لفظ **(الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)** على معنى الجمع؛ فالمعشر اسم جمع معناه الجماعة، يقـول ابن منظور(ت 711هـ):" والمَعْشَرُ: الْجَمَاعَةُ، مُتَخَالِطِينَ كَانُوا أَو غَيْرُ ذَلِكَ؛ ... والمَعْشَرُ والنَّفَر والقَوْمُ والرَّهْطُ مَعْنَاهُمُ: الْجَمْـعُ، لَا وَاحِدَ لَهُمْ مِنْ لَفْظِهِمْ، ... وَقَالَ اللَّيْثُ: المَعْشَرُ كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمرُهُم وَاحِدٌ نَحْوَ مَعْشرِ الْمُسْلِمِينَ ومَعْشَرِ الْمُشْرِكِينَ "[82]، ويقول الرازي(ت606هـ) : "المَعْشَرُ الجَماعَةُ العَظِيمَةُ، وتَحْقِيقُهُ هو أنَّ المَعْشَرَ العَدَدُ الكامِلُ الكَثِيرُ الَّذِي لا عَدَدَ بَعْدَهُ، إلّا بِالِابْتِداءِ فِيهِ، حَيْثُ يُعِيدُ الآحادَ، ويَقُولُ: أحَدَ عَشَرَ واثْنا عَشَرَ وعِشْرُونَ وثَلاثُونَ؛ أيْ ثَلاثُ عَشَراتٍ فالمَعْشَرُ كَأنَّهُ مَحَلُّ العَشْرِ الَّذِي هو الكَثْرَةُ الكامِلَةُ[83]. ويقول ابن عاشور: " والمَعْشَرُ: "اسْمٌ لِلْجَمْعِ الكَثِيرِ الَّذِي يُعَدُّ عَشَرَةً عَشَرَةً دُونَ آحادٍ."[84].

فالإخبار بالجمع **(إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا)** جاء مناسبًا للفظ اسم الجمع **(يَا مَعْشَرَ)** المضاف إلى **(الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)**، فالضمير **(الواو)** في **(أَنْ تَنْفُذُوا)** عائدٌ على لفظ **(مَعْشَر)** الدال على الجمع، وليس عائدًا على لفظ **(الْجِنِّ وَالْإِنْسِ)** حملًا على معنى الجماعة؛ أي: يضم كلٌّ من الجن والإنس أفرادًا كثيرة. ومنه أيضًا في عود الضمير على كلمة **(مَـــعْشَر)** قوله تعـالى: **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ}**[85]، وقوله تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}**[86].

فصفوة القول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى:**{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}**[87]، فجاء لفظ **(مَعْشَر)** دالًا على معنى الجمع، فطابق ذلك خطاب الجمع في قوله تعالى:**{إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ}**[88].

الخامس: تأويل حمل الجمع على معنى المفرد

من ذلك قوله تعالى: **{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ**

خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37)}[89].

ذهب بعض المفسرين وأهل المعاني إلى أنَّ هناك حملًا على المعنى في قوله تعالى: **{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**[90] فـ **(الْمُرْسَلُونَ)** جمع ومعناه (الرسول) ودليلهم في هذا قوله تعالى:**{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ}**[91]، والتقدير: (فَلَمَّا جَاءَ الرسولُ سُلَيْمَانَ)، فالفعل **(جَاءَ)** مسند إلى الواحد، وليس إلى الجمع، ودليلهم أيضًا قوله تعالى: **{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا}**[92]، فالفعل **(ارْجِعْ)** مسند إلى الواحد، وليس إلى الجمع[93].

ونقول: إنَّ قوله تعالى: **{وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**[94] لا حمل على المعنى فيه؛ فـ **(الْمُرْسَلُونَ)** لفظًا ومعنًى دلالته على الجمع؛ لأنَّ مرجعيات الخطاب تشير إلى أنَّ بلقيس قد علمت قوة سليمان(عليه السلام) بعد دعوته إلى عبادة الله (عز وجل)، وترك عبادتهم؛ فأرادت أنْ ترسل له هدية ليعرض عن دعوته، وتبقى في ملكها وعزها، وتحافظ على أهلها ومملكتها، قال تعالى: **{قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(35)}**[95]، فإرسال هديتها إلى سليمان (عليه السلام) يستلزم قطعًا أنْ ترسل وفدًا عظيمًا يناسب خطورة الموقف وعظمته؛ حاملًا الهدايا من جواهر وذهب وفضة وغير ذلك؛ يقول الزمخشري:" **{مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ}**؛ أي: مرسلة رسلًا بهدية أصانعه بها عن ملكي **{فَنَاظِرَةٌ}** ما يكون منه حتى أعمل على حسب ذلك، فروى أنَّها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري، وحليهنّ الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصَّع بالجواهر، وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجًا مكللًا بالدرّ والياقوت المرتفع والمسك والعنبر، وحقًا فيه درّة عذراء، وجزعة معوجة الثقب، وبعثت رجلين من أشراف قومها: المنذر بن عمرو، وآخر ذا رأى وعقل"[96]، ويقول الواحدي في البسيط بعد أن بيّن تفاصيل الهدية: " قال المفسرون: دعت بلقيس رجلًا من أشراف قومها، يُقَال له: المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالًا أصحاب رأي وعقل، وبعثتهم وفدًا إلى سليمان مع الهدية، وهم المرسلون في قوله:**{بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**"[97]، فأمام هذا المقام لم يكن رسولًا واحدًا هو من ذهب إلى سليمان (عليه السلام)، وقد أشارت التفاسير إلى رئيس الوفد (المنذر بن عمرو)؛ إذ يضمُّ رسلًا ورجالًا معه.

أمَّا الجواب على دليل من قال: هناك حملٌ على المعنى في قوله تعالى:**{فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ}**[98]، وقوله تعالى: **{ارْجِعْ إِلَيْهِمْ}**[99]؛ فلا تناقض بينهما؛ فمَن تصدَّر هذه المهمة وخاطبَ سليمانَ (عليه السلام) رسولٌ واحدٌ، يمثِّل الوفد الذي معه؛ فلا يمكن أنْ يتكلم الجميع في وقت واحد، وإنَّما هناك رئيس لهذا الوفد، والدليل خطاب سليمان (عليه السلام) لهم بصيغة الجمع، وليس المفرد، قال تعالى:**{قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ}**[100]، وقوله تعالى:**{فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}**[101]، فخطاب سليمان جاء بخطاب الجماعة للرسول ومن معه ومِن خلفه مَن أرسله؛ فلا تناقض بين **(الْمُرْسَلُونَ)** كونه جمعًا، وبين **(جَاءَ سُلَيْمَانَ)**، و**(ارْجِعْ إِلَيْهِمْ)** كونه مفردًا؛ إذ يمثِّل جمع المرسلين ورئيسهم في حواره مع سليمان (عليه السلام).

وربَّ سائل يسأل: ــ بعد أنْ بيَّنا أنَّ **(الْمُرْسَلُونَ)** جاء موافقًا للفظ والمعنى ــ لِمَ لم يكن خطاب بلقيس بخطاب المفرد في قوله تعالى: **{فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}**[102]، والمقصود رئيس الوفد؟. الجواب: جلُّ اهتمام بلقيس في هذا المقام التواصلي مع قومها معرفة إجابة سليمان(عليه السلام) بعد إرسال الهدية، وليس تحديد من يأتي لها

بالجواب بشخص محدد؛ فجاء الخطاب في قوله تعالى:{**فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**}[103]مناسبًا للمقام التواصلي وخطورة الموقف، وانتظارها للإجابة؛ أي: ممَّن أرسلتهم جمعًا، وليس فردًا.

فخلاصة القول: لا حمل على المعنى في قوله تعالى:{**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**}[104]، فجاء (**الْمُرْسَلُونَ**) جمعًا لفظًا ومعنًى.

السادس: تأويل حمل الجمع على معنى المثنى

من ذلك قوله تعالى: {**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)**}[105]

ذكر بعض المفسرين أنَّ لفظ (**آيَاتِي**) في قوله تعالى: {**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**}[106]، فيه حمل على المعنى؛ فاللفظ جمع والمعنى مثنى، هما اليد والعصا[107]، يقول أبو حيان:" وقِيلَ: اليَدُ، والعَصا، وقَدْ يُطْلَقُ الجَمْعُ عَلى المُثَنّى"[108]، ونقول: إنَّ المقام التواصلي لهذا الخطاب يشير إلى أنَّه لا حمل على المعنى؛ فـ (**آيَاتِي**) يدلُّ على جمع الآيات لفظًا ومعنًى؛ لأنَّ المقام هنا مقام تبليغ من الله (عز وجل) الى موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) بأنْ يذهبا إلى فرعون بعد طغيانه وجبروته ولا يقصرا في تبليغه ولا يخافاه؛ يدعونه إلى عبادة الله (عز وجل) وأنْ يرسل معهم بني إسرائيل ولا يعذبهم، وهذا يستلزم عظيم التبليغ والبراهين والحجج؛ قال تعالى: {**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)**}[109]؛ فموسى وهارون (عليهما السلام) في مقام محاججة وإثبات، وهذا يستلزم المبالغة في التبليغ والإقناع، والاستعداد لأيّ طارئ؛ فقصر المعجزات بآيتين لا يتناسب مع سياق التأكيد في التبليغ مع طغيان فرعون وجبروته، فأمام هذا سياق الحال لا يتأتى إلا بكثرة الحجج والبراهين؛ يقول ابن عباس(ت68ه):" يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى"[110]، ويقول ابن كثير (ت774هـ):" أَيْ: بحُجَجي وَبَرَاهِينِي وَمُعْجِزَاتِي"[111]، والدليل القاطع على أنَّه لا حمل على معنى التثنية، جواب موسى (عليه السلام) بعد ذهابه إلى فرعون، ودعوته وطغيانه وعدم استجابته إلى طاعة الله (عز وجل)؛ إذ قال موسى (عليه السلام) ــ لربّه بصيغة الجمع ــ (**آيَاتِنَا**) مع التأكيد بـ (**كُلِّهَا**)، قال تعالى:{**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلِّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**}[112]؛ فهنا تأكيد معنوي بـ (**كُلِّهَا**) على أنَّ هذه الآيات جمعًا، ولم يقصرا في تبليغه، وإنَّه كذَّب ورفض دعوتهما، زيادة على ذلك أنَّ الآيات جميعها التي وردت في القرآن الكريم التي تذكر هذا التبليغ تنصُّ على الجمع لفظًا ومعنًى، قال تعالى:{**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا**}[113]، وقال تعالى:{**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**}[114]، وقال تعالى:{**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**}[115]، وقال تعالى:{**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**}[116]، وقال تعالى:{ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**}[117]، وقال تعالى:{**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}[118].

فأمام هذه الحجج لا يصمد القول: إنَّ (**آيَاتِي**) في قوله تعالى: {**اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي**}[119] لفظه جمع ومعناه مثنى؛ فلا حمل على المعنى ــ هنا ـ وجاءت (**آيَاتِي**) جمعًا لفظًا ومعنًى.

الخاتمة

في نهاية البحث لابُدَ من وقفةٍ نبيّن فيها أهم النتائج:

1ـ أثبت البحث أنَّ لا حمل على المعنى في الشواهد القرآنية؛ فجاء ظاهر اللفظ موافقًا للمعنى.

2ـ من أسباب الحمل على المعنى إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، إعطاء معنى تفسيري غير مطابق لظاهر اللفظ إفرادًا وتثنية وجمعًا، مما يُضطَر إلى التأويل النحوي.

3ـ ممَّا يؤخذ على بعض المفسرين وأهل المعاني في مواطن الحمل على المعنى الأخذ ممَّا سبقهم من المفسرين من غير الوقوف عليها وتوجيهها.

4ـ بيَّن البحث أنَّ عدم التأويل أولى من التأويل، وإنْ تنازع المعنى بين ظاهر اللفظ وتأويله بالحمل على المعنى، فظاهر اللفظ أولى.

5ـ ممَّا يؤخذ على بعض المفسرين وأهل المعاني جعل اسم الجمع من مواطن الحمل على المعنى؛ أي: حمل المفرد على معنى الجمع، وهذا فيه نظر؛ لأنَّ اسم الجمع يدلُّ على المفرد والجمع في لفظه؛ فلا حمل على المعنى.

6ـ أثبت البحث أنَّ مرجعيات الخطاب والقرائن والمقام التواصلي، والمتكلم والمخاطَب وغير ذلك، وسائل للوصول إلى المقاصد وتوجيه المعنى ونقده.

الهوامش

(1) لسان العرب:172/1، مادة (أول).

(2) التكملة:106.

(3) الإحكام في أصول الأحكام: 1/ 42.

(4) الحدود في الأصول: 48.

(5) معجم التعريفات :46.

(6) ينظر: الخصائص:360/2.

(7) الخصائص :411/2.

(8) الإنصاف في مسائل الخلاف: 416/2.

(9) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل:103/3.

(10) تفسير البحر المحيط:397/4.

(11) سورة البقرة، الآيات:14 – 18.

(12) سورة البقرة، من الآية:17

(13) ينظر: معاني القرآن، للاخفش:54، وتأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة:361 – 362 تفسير البغوي:68/1، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري:1/ 32 – 33، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي:320/1– 321، ، ، وتفسير أبي السعود:87/1.

(14) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 93/1.

(15) سورة البقرة، الآيتان :15 – 16.

(16) سورة البقرة، الآية:17.

(17) سورة البقرة، من الآية :17.

(18) ينظر: معاني القرآن، للفراء:15/1، وجامع البيان:345/1، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:39/1

(19) تفسير التحرير والتنوير:308/1– 309.

(20) سورة البقرة، من الآية:17

(21) سورة التغابن، الآيات: (5 – 7)

(22) سورة التغابن، من الآية:6.

(23) ينظر: معاني القرآن للأخفش: 2/ 543، وجامع البيان :8/23، وتفسير البغوي:141/8، تفسير القاسمي محاسن التأويل:5820/16.

(24) جامع البيان :8/23.

(25) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان:915/2، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، لأبي حيان150/2، وشرح التسهيل، ناظر الجيش:468/1، وهمع الهوامع، للسيوطي:204/1.

(26) تفسير البيضاوي:217/5 ،وينظر: تفسير التحرير والتنوير:269/28.

(27) تفسير أبي السعود: 338/5، وينظر: روح المعاني، للآلوسي:122/28.

(28) سورة التغابن: الآيتان :(5 – 6).

(29) سورة التغابن: من الآية :6.

(30) سورة طه، الآيات :(115 – 122)

(31) سورة طه، الآية :117.

(32) تفسير القرآن، للسمعاني:359/3، وزاد المسير، لابن الجوزي:328/5، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:299/3، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي:36/1.

(33) سورة طه، الآية:116.

(34) ينظر: معاني القرآن للفرآء:193/2. وجامع البيان:186/16 ، والمحرر الوجيز، لابن عطية:67/4 ، والجامع لأحكام القرآن:148/14—149.

(35) سورة طه، الآية :117.

(36) سورة طه، الآيات :118 – 122.

(37) فتح القدير، للشوكاني:924.

(38) سورة طه، من الآية: 120.

(39) سورة طه، من الآية:121، والآية:122

(40) سورة طه، الآية :117.

(41) سورة التوبة، الآيتان:(61 –62)

(42) سورة التوبة، الآية:62.

(43) ينظر: معاني القرآن، للفرآء:445/1، وفقه اللغة وأسرار العربية، للثعالبي :362، وتفسير الفخر الرازي:121/16، وتفسير الخازن:378/2 والاتقان في علوم القرآن:117/3، ومعترك الأقران:36/1.

(44) سورة التوبة، من الآية:62.

(45) تفسير الكشاف:440.

(46) سورة التوبة، من الآية:62.

(47) تفسير البحر المحيط:80/5.

(48) تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا:523/10

(49) المحرر الوجيز:53/3.

(50) سورة التوبة، الآية :61.

(51) سورة النساء، من الآية :80.

(52) سورة التوبة، الآية:62.

(53) سورة طه، الآيات (49 – 59)

(54) سورة طه، الآية:49.

(55) ينظر: تفسير الثعلبي:246/6، والتبيان في إعراب القرآن :892/2.

(56) جامع البيان:79/16.

(57) تفسير الكشاف: 657.

(58) تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين فضل الله: 121/15.

(59) سورة طه، الآية:50.

(60) التفسير البسيط:413/14.

(61) سورة طه، الآية:50.

(62) سورة طه، الآيتان:(51 – 52)

(63) سورة طه ، الآيات (57 – 59)

(64) سورة طه، الآية:49.

(65) سورة الكهف، الآيات (60 – 67).

(66) سورة الكهف، الآية :61.

(67) ينظر: معاني القرآن، للفراء:180/2، وتأويل مشكل القرآن:287، والتفسير البسيط،:73/14، وإعراب القرآن، للباقولي:74/1، والمحرر الوجيز:528/3، وتفسير النسفي:309/2، ، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي: 32/4، ومعترك الأقران:256/1–257،

(68) سورة الكهف، الآية :63.

(69) سورة الكهف، من الآية :63.

(70) معاني القرآن واعرابه:299/3.

(71) تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي:191/7

(72) تفسير الكشاف:624.

(73) سورة الكهف، الآيات (64 – 67)

(74) جامع البيان: 319/15

(75) النكت والعيون تفسير الماوردي :324/3

[76] سورة الكهف، الآية :64.

[77] سورة الكهف، من الآية :64.

[78] سورة الكهف، الآية :61.

[79] سورة الرحمن، الآية :33.

[80] ينظر: معاني القرآن، للفراء:3/ 116 – 117، وتفسير الثعلبي :186/9، والتفسير البسيط:168/21 ،والجامع لأحكام القرآن:20/ 138، وتفسير البحر المحيط:276/8، ، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي:330/18 ، وتفسير روح المعاني:112/27.

[81] سورة الرحمن، من الآية :33.

[82] لسان العرب :2955/4، مادة(عشر).

[83] تفسير الفخر الرازي :113/29ـــ 114.

[84] تفسير التحرير والتنوير :258/27.

[85] سورة الأنعام، من الآية : 128.

[86] سورة الأنعام، من الآية :130.

[87] سورة الرحمن، الآية :33.

[88] سورة الرحمن، من الآية :33.

[89] سورة النمل: الآيات :(34 – 37)

[90] سورة النمل، الآية :35.

[91] سورة النمل، من الآية :36.

[92] سورة النمل، من الآية :37.

[93] ينظر: معاني القرآن للفراء :293/2 ، وتأويل مشكل القرآن: 284، وجامع البيان:56/18 – 57.

[94] سورة النمل، الآية :35.

[95] سورة النمل، الآيتان :(34 ــ 35)

[96] تفسير الكشاف: 782 –783، وينظر: تفسير أبي السعود:260/4.

[97] تفسير البسيط :230/17.

[98] سورة النمل، من الآية :36.

[99] سورة النمل، من الآية :37.

[100] سورة النمل، من الآية :36.

[101] سورة النمل، من الآية :37.

[102] سورة النمل من الآية :35.

[103] سورة النمل، من الآية :35.

[104] سورة النمل، الآية :35.

[105] سورة طه، الآيات (42 ــ 48)

[106] سورة طه، الآية :42.

[107] ينظر: تفسير الثعالبي:245/6، وتفسير زاد المسير في علم التفسير:286/5 – 287، وتفسير البحر المحيط :304/6.

[108] تفسير البحر المحيط :304/6

(109) سورة طه، الآيات :(42 – 48)

(110) تفسير البغوي:5/ 274، وينظر: الجامع لأحكام القرآن" 13/ 182، وروح المعاني :193/16.

(111) تفسير القرآن العظيم: 294/5.

(112) سورة طه :الآية :56.

(113) سورة الإسراء: الآية :101

(114) سورة إبراهيم، الآية :5.

(115) سورة هود، الآية :96.

(116) سورة المؤمنون، الآية :45.

(117) سورة هود، الآية: 96، سورة غافر، الآية:23.

(118) سورة الزخرف، الآية:46.

(119) سورة طه، الآية:42.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف، السعودية، (د.ت).
- الإحكام في أصول الأحكام ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: 456ه) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت)
- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، أبو حيَّان الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، ومراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1418هـ ـــ 1998م .
- إعراب القرآن، الباقولي (ت 543هـ) (المنسوب خطأ للزجاج ت311ه)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشرون دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1402هـ ـ 1982م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري(ت577ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت، 1428ه ــ2007م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي(ت691ه)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، تحقيق: محمد أبـــو الفضل إبـراهيم، مكتبة دار التـــراث، القـــــــــاهرة، (د. ت).
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت276ه)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة ابن قتيبة (د. ت).
- تأويلات أهل السنة، تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت:333ه)، تحقيق: د. مجدي باسلُّوم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2005 ـ 1426ه.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري (ت 616ه)، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، (د.ت).
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419ه ـ 1998م، وطبعت الأجزاء الستة المتبقية دار الكنوز إشبيليا، الرياض، ط1، 1429ه ــ 2008م.
- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت 982ه)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض (د.ت).
- تفسير البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ط1، 1423 هـ ـــ 2002م.
- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468هـ)، تحقيـــق: د. محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، الرياض،1430هـ.
- تفسير البغوي" معالم التنزيل"، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت516ه)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلمان سالم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1409ه.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت1393ه)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- تفسير الخـــازن المسمَّى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(ت725ه)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شـــــــاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1425هـ ـــ2004م.

- تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر(ت606هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1401هـ ــ 1981م.
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي(ت 1332ه)، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376هـ ـ1957م.
- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعـــــاني(ت489هـ)، تحقيق: أبـــو تميم ياسر بن إبراهيم، وأبو بلال غنيم بن عبـــــاس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ ـــ1997م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، (د. ت).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1420هـ ـــ1999 م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: جليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، ط3، 1430 ه ــ 2009م.
- تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ ـ 1998م.
- تفسير من وحي القرآن، السيد محمد حسين محمد فضل الله، دار الملاك، بيروت ـ لبنان، ط2، 1419 ـ 1998.
- التكملة، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت 377ه)، تحقيق: كاظم بحر مرجان، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ط2، 1419ه ــ 1999م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محبُّ الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش(ت778ه)، تحقيق: علي محمد فاخر، وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1428ه ــ 2007م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1422،1هـ ـ2001م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت671ه)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ــ لبنان، ط1، 1427ه ــ 2006م.

- الحدود في الأصول، الحافظ أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي(ت 474ه)، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1392هـ - 1973م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمـان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د.ت) .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت1270ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (د. ط)، (د.ت).
- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت597ه)، المكتب الإسلامي، ط3، 1404ه ـ1984م.
- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت1250ه)، دار المعرفة، بيروت ــ لبنان، ط4، 1428ه ــ 2007م.
- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت 430ه)، تحقيق: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت (د.ت)
- الكشف والبيان، المعروف بـ(تفسير الثعلبي)، أبو اسحاق أحمد المعروف بالإمام الثعلبي(427ه)، تحقيق: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1422ه ـ2002م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي(ت880ه)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1419ه ـ 1998م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546ه)،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1422ه ــ 2001م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق ابراهيم بن السَّري الزجاج (ت311ه)، تحقيق: د. عبد الجليل عبدُه شلبي، عالم الكتب، ط2، 1405ه ــ1985م.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط(ت215ه)، تحقيـــق: د. هدى محمـــــود قراعة، مكتبة الخـــــــانجي، القاهرة، ط1، 1411ه ـ1990م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء(ت207هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ ــ1983م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د.ت).
- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني(ت816ه)، تحقيق: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

- النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري(ت450ه)، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ود. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان،1413هـ ــ1992م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق ـ الدار الشامية بيروت، ط1، 1415ه ــ 1995م.